

الأربعاء الحبر: مقتطفة من: دليل الطالب الذكي في علم النفس انطلاقاً من: قصر العيني:

الفصل الحادي عشر: "لمعة عن الوعي ومستوياته" (1)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2021/02/17

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4918

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

هكذا قاربنا الانتهاء من عرض حلقات هذا الكتاب وقد كنت أحسب أنه الأسهل لكنه بدا كتاباً له مريدوه بالغ النفع ونختم اليوم بأول حلقة منه بأصعب وآخر فصل فيه عن الوعي.

.....

الطالب: لقد كررت لي أثناء حديثنا عن النوم والأحلام وحتى الإبداع، مصطلحات مثل وعي النوم، ووعي الحلم، ووعي اليقظة.

المعلم: حصل

الطالب: وأحيانا كنت تذكر كلمة "شعور" مرادفة لما هو "وعي"

المعلم: نعم نعم، حصل أيضاً، لكنني لم أتماد، ماذا تريد؟

الطالب: ثم تأتي الآن تربط ما هو وعي هكذا بالنوم والأحلام والإبداع وكل شيء

المعلم: عندك حق، إذن ماذا؟

الطالب: بصراحة أنا محتار أكثر، أريد الآن توضيحاً: هل الوعي هو الشعور، وكيف تنكر اللاشعور ثم تتكلم عن وعي النوم ووعي الحلم بعيداً عن اليقظة أي عن الشعور

المعلم: يا إبني يا إبني! الأمر ليس سهلاً، لدرجة أني أتصور أن السلوكيين التقليديين حين أغفلوا الحديث عن الوعي تماماً، لم يفعلوا ذلك إنكاراً، وإنما لعجزهم المتواضع أن يحددوا الظاهرة القابلة للدراسة تحت هذا الاسم.

الطالب: وهل نجح غير السلوكيين في تحديد ماهية الوعي.

المعلم: لا أعتقد، وإن كانت الصعوبة لا تبرر الإنكار، وعجز اللغة المتاحة ليس كافياً لتجاهل مثل هذه الظاهرة الأصل: الشاملة المحتوية المتعددة المستويات.

الطالب: كأنني بك تتحدث عن إنكار وجود الله لمجرد أنه " ليس كمثلته شيء".

المعلم: يا ولد!! ما كل هذا!!! واحدة واحدة، لا تستدرجني إلى ما لا ينتهي.

الطالب: ما رأيك، هل نكتفي بما ذكر عن الوعي فيما يخص وعي النوم ووعي اليقظة ووعي الإبداع.

المعلم: والله فكرة، إن ملف الوعي محيط لا يمكن الإحاطة به، وأخشى أن نخترله فنشوهه.

هل الوعي هو الشعور، وكيف تنكر اللاشعور ثم تتكلم عن وعي النوم ووعي الحلم بعيداً عن اليقظة أي عن الشعور

أن السلوكيين التقليديين حين أغفلوا الحديث عن الوعي تماماً، لم يفعلوا ذلك إنكاراً، وإنما لعجزهم المتواضع أن يحددوا الظاهرة القابلة للدراسة تحت هذا الاسم.

إن ملف الوعي محيط لا يمكن الإحاطة به، وأخشى أن نخترله فنشوهه

إن دراسة الشعور والوعي وتعريفه هي أقرب إلى الخبرات الفنية، والخبرات الحسية منها إلى المنطق الحسابي والتعاريف العلمية بالألفاظ

المعايشة الكاملة، والحس أحياناً، وهو ما أشرنا إليه تحت

مسمى "المنهج  
الفيينومينولوجي"

إذا كنت قد فهمت فقد خيل  
إلى أن تيار الوعي مثل ماء  
النيل، والوظائف الأخرى مثل  
المراكب فوق صفته

الوعي طبقات ولغة وتنظيمات  
ومستويات وهو يدخل ويتداخل  
مع سائر الوظائف وهي سائر  
الأحوال في حين أن ماء النيل لا  
يدخل المراكب، وإلا غرقت

بعد أن مجزئ تماماً عن  
توصيفه الوعي فإن ما وكنى  
من خبرتي المهنية، وخاصة في  
العلاج الجمعي، ومع الذهانيين  
بالذات، هو أن أبدأ بنفي ما  
ليس هو، ثم ألحق النفي بـ  
"لكن" .. لعل وعسى

الوعي ليس وظيفة مستقلة  
ولكنه حركية إيقاعية

الوعي ليس صفة لاحقة ولكن  
منظومة مشتتة

الوعي ليس نشاطاً متبادلاً مع  
الوظائف الأخرى أو متصلاً بما  
سداً أو وساداً، ولكنه حركية  
متداخلة في كل الوظائف

الوعي ليس واحداً ولكن  
منظومات متعددة متداخلة  
تمثل مراحل في التطور، التي  
هي هي مراحل النمو، وهي  
متبادله النشاط - دورية  
الإيقاع - متعاقلة متبادله في  
حالة السواء، وعكس ذلك في  
حالة المرض

الوعي ليس مرادفاً للروح

الطالب: ربما عندك حق، ولكن ماذا لو فوجئت أن سؤالاً جاء في الامتحان عن الوعي

المعلم: لا تحملهما فهم لن يقتربوا من هذه المنطقة أصلاً

الطالب: لماذا؟

المعلم: ربما لأمانتهم وربما .. كما تعلم

الطالب: لا أعلم شيئاً

المعلم: أحسن

الطالب: أحسن ماذا؟

المعلم: أحسن ألا يقتربوا حتى نجد اللغة التي يمكن أن تسعفنا

الطالب: اللغة التي تسعفنا للإجابة في الامتحان أم اللغة التي نفهم بها الوعي

المعلم: نحن في ماذا أم ماذا؟ امتحان ماذا يا إبني؟ قلت لك لا تحملهما فهم لن يقتربوا من هذه  
المنطقة،

الطالب: هل هم يبتعدون في انتظار أن يحذق الطلبة والأساتذة لغة الوعي مثلاً

المعلم: يا إبني ما لهم هم بهذه المنطقة

الطالب: صحيح إذا كانوا لا يسمحون لي أن أجيب بلغتي العربية التي ولدت بها فكيف يُنتظر منهم  
أن يقتربوا من لغة الوعي

المعلم: انت تتكلم عن لغة الوعي وكأنك تعرفها

الطالب: آه صحيح، ما هي لغة الوعي

المعلم: الوعي ليس له لغة خاصة، هو لغة في ذاته، ثم كيف أفهمك مالا يمكن فهمه بالألفاظ  
العاجزة، إن دراسة الشعور والوعي وتعريفه هي أقرب إلى الخبرات الفنية، والخبرات الحدسية منها إلى  
المنطق الحسابي والتعاريف العلمية بالألفاظ.

الطالب: والله معهم حق هؤلاء السلوكيون الذين تركوا الجمل بما حمل.

المعلم: قلت لك إن العجز لا يبرر الإنكار، ثم إن إخواننا السلوكيين يقرون هذه الظواهر بالانتباه  
وظاهر العقل، الأمر الذي يقصر عن استيعابها، وأرجوك لا تستدرجني في هذا الدليل إلا في حدود  
الأسس الأولية، وهذه الحدود تسمح لي أن أقول لك إن هذا الموضوع برمته هو موضع اهتمام فرق كثيرة،  
من أهمهم:

(1) من يدرس الانسان ككل.

(2) من يهتم بأرضية ظاهرة الوجود الإنساني بقدر ما يهتم بمحتوى السلوك الجزئي.

(3) من يستعمل ذاته وسيلة لاستيعاب الخبرة: خبرته وخبرة العالم، ولا أعنى بهذا التأمل والتفكير أو  
ما يسمونه الاستبصار الذاتي Introspection ولكن أعنى المعيشة الكاملة، والحُدس أحياناً، وهو ما  
أشرنا إليه تحت مسمى "المنهج الفيينومينولوجي"

(4) من يهتم بنوع الخبرة نفس اهتمامه بكتبتها.

الطالب: أكاد أوقن أن من الأفضل لي ألا اتمادى في السؤال، لأنك كلما اجبتني زدتي حيرة وزدت  
الأمر غموضاً، إذا كنت قد فهمت فقد خيل إلى أن تيار الوعي مثل ماء النيل، والوظائف الأخرى مثل

المراكب فوق صفحته.

**المعلم:** لا طبعاً، هذا تشبيه قاصر. الوعي طبقات ولغة وتنظيمات ومستويات وهو يدخل ويتداخل مع سائر الوظائف وفي سائر الأحوال في حين أن ماء النيل لا يدخل المراكب، وإلا غرقت.

**الطالب:** ألا يمكن أن تعرف لى الوعي بأى تعريف مهما كان عاجزا

**المعلم:** بصراحة أرجو أن تعفينى من ذلك بعد كل ما ألمحت إليه، وإن أصرت فأسمح لنفسى أن أثبت لك خبرة سجلتها بعد حوارنا هذا بثلاثين عاما وكنت قد نسيت ما كان بيننا، ولا أعرف كيف، ستصلك بعد كل هذه السنين، إذ أين أنت الآن.

**الطالب:** سجلها يا سيدى لأصحابها ينوبك ثواب.

**المعلم:** وأنت أيضا تشاركنى فى الثواب، فأنت الذى صبرت على وأتحت لى هذه الفرصة.

**الطالب:** إذن هيا

**المعلم:** بعد أن عجزتُ تماما عن توصيف الوعي فإن ما وصلنى من خبرتى المهنية، وخاصة فى العلاج الجمعى، ومع الذهانيين بالذات، هو أن أبدأ بنفى ما ليس هو، ثم ألحق النفى بـ "لكن .." لعل وعسى، فكتبت ما يلى:

\*الوعي ليس وظيفة مستقلة ولكنه حركية إيقاعية.

\*الوعي ليس صفة لاحقة ولكنه منظومة مشتملة.

\*الوعي ليس نشاطا متبادلا مع الوظائف الأخرى أو متصلا بها سندا أو وسادا، ولكنه حركية متداخلة فى كل الوظائف.

\*الوعي ليس واحدا ولكنه منظومات متعدده متصاعدة تمثل مراحل فى التطور، التى هى هى **مراحل النمو**، وهى متبادله النشاط- دورية الإيقاع- متكافلة متجاذله فى حالة السواء، وعكس ذلك فى حالة المرض.

\*الوعي ليس مرادفا للروا ولكنه على علاقة وثيقة بالادراك الأعمق عامة وبالوجدان خاصة.

\*الوعي ليس هو "الشعور" الظاهر فى بؤرة الانتباه، ولكنه متعدد فاعل حتى لو كان كامنا.

\*الوعي ليس صفة ثابتة، لكنه حركة متصاعدة متوجهة نحو "واحدية الوعي المطلق" المفتوحه النهائية.

\*الوعي ليس وجدانا متميزا ولكنه شديد الارتباط بما يسمى: العقل الوجدانى الاعتمالى.

\*الوعي ليس قاصرا على الوعي بالوعي، ولكنه موجود عند كل الأحياء) وغالبا فى المادة غير الحية أيضا)

\*الوعي ليس هو تعريفه فى المعاجم، ولا حتى فى كثير من الكتب العلمية ولكنه حاضر حضورا أوسع وأشمل من كل الألفاظ التى تصفه.

\*الوعي ليس دائما فى متناول التناول بالحكى أو الرموز أو الحرف، ولكنه يشكل لغة جديدة فى الإبداع عامة وفى الشعر خاصة.

\*الوعي ليس موضوعا للحوار الشخصى لكنه ممارسة متعددة المستويات والأبعاد بين الأحياء أساسا،) ومع كل شئ وفى كل شئ إلى كل شئ)

\*الوعي ليس نشاطا فسيولوجيا للمخ فحسب ولكنه نشاط حيوى (بيولوجى) وجودى يشمل كل

ولكنه على علاقة وثيقة بالادراك الأعمق عامة وبالوجدان خاصة

الوعي ليس هو "الشعور" الظاهر فى بؤرة الانتباه، ولكنه متعدد فاعل حتى لو كان كامنا.

الوعي ليس صفة ثابتة، لكنه حركة متصاعدة متوجهة نحو "واحدية الوعي المطلق" المفتوحه النهائية .

الوعي ليس وجدانا متميزا ولكنه شديد الارتباط بما يسمى: العقل الوجدانى الاعتمالى.

الوعي ليس قاصرا على الوعي بالوعي، ولكنه موجود عند كل الأحياء (وغالبا فى المادة غير الحية أيضا)

الوعي ليس هو تعريفه فى المعاجم، ولا حتى فى كثير من الكتب العلمية ولكنه حاضر حضورا أوسع وأشمل من كل الألفاظ التى تصفه.

الوعي ليس دائما فى متناول التناول بالحكى أو الرموز أو الحرف، ولكنه يشكل لغة جديدة فى الإبداع عامة وفى الشعر خاصة .

الوعي ليس موضوعا للحوار الشخصى لكنه ممارسة متعددة المستويات والأبعاد بين الأحياء أساسا،) ومع كل

\*الطالب: هذا كلام صعب، ولعله أقرب إلى الشعر، ومع ذلك فقد أثارنى وأخرجنى، وأثار فى  
تساؤلات بلا حصر، ولكننى سوف أكتفى بأن أسأل عن كيف يدخل الوعى فى سائر الوظائف؟

.....

ونكمل الأسبوع القادم

- [1] يحيى الرخاوى: "دليل الطالب الذكى فى: علم النفس  
انطلاقا من: قصر العينى" منشورات جمعية الطب النفسى  
التطورى (2019)، والكتاب قديم مهم (الطبعة الأولى سنة  
1982) ولم يتم تحديثه فى هذه الطبعة، موجود فى مكتبة  
الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة  
النفسية شارع 10، وفى مؤسسة الرخاوى للتدريب والأبحاث: 24  
شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا حاليا  
بموقع المؤلف، وهذا هو الرابط [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net)

الوعى ليس نشاطا فسيولوجيا  
للمخ فحسب ولكنه نشاط حيوى  
(بيولوجى) وجودى يشمل كل  
الخلايا وخاصة الجسد

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhaw/RakD170221.pdf>

\*\*\*\*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربى رقبيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمى

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الالكترونى

<http://www.arabpsyfound.com>

\*\*\* \*\*

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الويب

21 عاما من الضج... 18 عاما من الإنجازات

( التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13 )

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية " الشريك الفخرى الماسى المميز " / " الشريك الفخرى الماسى "

عضوية " الشريك الشرفى الذهبى "

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

\*\*\* \*\*

شاركونا أعمالنا على صفحاتكم للتواصل الاجتماعى....

معا يصل صوتنا ومعكم نذهب أبعد...

معا نرقى بأنساننا، فترقى اوطاننا، وترقى امتنا